شد وجذب ، تحسبا للأضرار التـــي يمكن أن يسببها هـــذا المشروع لسكان البلاد الأصليين ، ولردود فعل الفلسطينيين والعرب على هذه الأضرار .

وكالعادة في مثل هذه الاحوال انقسم الرأي في الاوساط السياسية الاوروبية التي التي كانت تساهم في طبخ صيغة وعد بلفور بين معتدل يحذر من ردود الفعل العربية وضرورة مراعاتها ، ومتطرف يستخف بردود الفعل العربية .

ومع أن صيغة الوعد قد حملت لمحة من لمحات الحذر من ردود الفعل العربية ، الا ان عملية التنفيذ بعد ذلك ، قد اندفعت تحقق المشروع مرحلة وراء مرحلة ، تتوقف كلما قويت ردود الفعل ، وتندفع كلما همدت .

ولو القينا نظرة شاملة على السنوات الاخيرة التي سبقت انشاء دولة اسرائيل ، والتي تفصل بين اخماد ثورة ١٩٣٦ الكبرى ونكبة ١٩٤٨ ، لرأينا أن مشروع انشاء دولة اسرائيل لم يندفع نحو مرحلته الحاسمة ، الا بعد أن تكون وضع عربـــي عام (بفعل طبيعة الأنظمة العربية في تلك الفترة) يتبنى موقف مهادنة الاستعمار وملاينته ، بل والائتمار بأوامره على بعض المستويات العربية .

وهكذا بنيت نكبة ١٩٤٨ علـــى أساس عدم الايمان بقدرة الامكانات العربية على مواجهة التحدي ، فخسرنا المعركة من غير أن نخوضها .

نكبة عام ١٩٤٨ كانت اذن استغلالا استعماريا لرفض الأنظمـــة العربية التحدي الاستعماري المفروض عليها ، وانصياعها له ، امـــا نكسة ١٩٦٧ ، فقد كانت على العكس من ذلك تماما عقابا للعرب على اصرارهم هذه المرة على قبول التحدي ، ثم كسرا لشوكة الانتصارات الواضحة التي سجلوها وهم يخوضون حلبة التحدي ، وهي الانتصارات التي ما كانت القوى الاستعمارية تطيق تحمل آثارها ونتائجها ليس على المستوى العربي فحسب (وهو بحد ذاته منطقة حساسة بالنسبة للاستعمار القديم والحديث) بل على مستوى العالم الثالث أيضا .

الموقف من أميركا

ولعل اهم المواقع الحساسة التـــي يمكن ان نراقب فيهـــا عملية المد والجزر بين منطق قبـــول التحدي ومنطق الاستسلام أمامـــه ، هو موقع العلاقـــات العربية — الاميركية ، خاصة وان التحدي الخارجي الرئيسي الذي أصبح العرب يواجهونه بعد معركة السويس وانحسار النفوذين الفرنسي والبريطاني ، هو تحدي النفوذ الاميركي.

ان احدى الحجج الرئيسية التي يبرر بها النظام المصري الحالي عملية اعادة النظر والتراجع التي يخوضها بالنسبة للمرحلة الناصرية هي ان تلك المرحلة لم تكن تعترف في حسابات ادارة الصراع بحجم الثقـــل الاميركي في الصراع ، وان هـــذا الخطأ في الحسابات كلفنا هزيمة ١٩٦٧ ، وكاد يكلفنا هزيمة جديدة في عام ١٩٧٣ لولا مسارعة القاهرة الى توقيع اتفاقية وقف اطلاق النار ، وان الفارق بين حسابات المرحلة الجديدة في مصر والمرحلة السابقة هو الفارق بين الواقعية واللاواقعية .

وخلاصة المنطق السياسي المبني على مثل هذه الحجج يقول انه « ما دام صراعنا مع الاستعمار الاميركي حول القضية الفلسطينية قد أدى بنا الى نكسة ١٩٦٧ ، فلتحل المشكلة بالتصالح أو بالتفاهم ، بدل الصراع » .